

## المفردات الإضافية في مقرر التوحيد (عقد 111)

### المستوى الثالث / شريعة

#### المفردة الأولى : العرش والكرسي .

ش : قال تعالى : ذو العرش المجيد \* فعال لما يريد / رفيع الدرجات ذو العرش / ثم استوى على العرش ، في غير ما آية من القرآن : الرحمن على العرش استوى / لا إله إلا هو رب العرش الكريم / الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم / الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا / ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية / وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم / وفي دعاء الكرب المروي في الصحيح : لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا هو رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم . وفي صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، وفوقه عرش الرحمن .

وذهب طائفة من أهل الكلام :

إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة ، وربما سموه : الفلك الأطلس ، والفلك التاسع ! وهذا ليس بصحيح :

1- لأنه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : فإن الناس يصعقون ، فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور .

2- والعرش في اللغة : عبارة عن السرير الذي للملك ، كما قال تعالى عن بلقيس : (ولها عرش عظيم) وليس هو فلماً ، ولا تفهم منه العرب ذلك ، والقرآن إنما نزل بلغة العرب ، فهو : سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقبة على العالم ، وهو سقف المخلوقات . فمن شعر أمية ابن أبي الصلت :

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيراً

بالبناء العالي الذي بخر النا س وسوى فوق السماء سريراً

شرجعاً لا يناله بصر العا ين ترى حوله الملائك صوراً

الصور هنا : جمع : أصور ، وهو : المائل العنق لنظره إلى العلو . والشرجع : هو العالي المنيف . والسرير : هو العرش في اللغة . ومن شعر عبد الله ابن رواحة رضي الله عنه ، الذي عرّض به عن القراءة لامراته حين اتهمتته بجاريتها :

شهدت بأن وعد الله حق [وأن] النار مثوى الكافرينا  
وأن العرش فوق الماء طاف      وفوق العرش رب العالمينا  
وتحمله ملائكة شداد      ملائكة الإله مسومينا

ذكره ابن عبد البر وغيره من الأئمة ، وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش ، إن ما بين [شحمة]  
أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام . ورواه ابن أبي حاتم ولفظه : مخفق الطير سبعمائة عام .  
وأما من حرف كلام الله ، وجعل العرش عبارة عن الملك :

كيف يصنع بقوله تعالى : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) . وقوله : (وكان عرشه على  
الماء) . أيقول : ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟! ، وكان ملكه على الماء ! ، ويكون موسى عليه  
السلام آخذاً من قوائم الملك؟! هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول ؟ ! .  
وأما الكرسي :

فقال تعالى : (وسع كرسيه السماوات والأرض) . وقد قيل :

1/ هو العرش ، والصحيح أنه غيره ، نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره .  
روى ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش ، و الحاكم في مستدركه ، وقال : إنه على شرط  
الشيخين ولم يخرجاه ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، في قوله تعالى : (وسع كرسيه  
السماوات والأرض) ، أنه قال :

2/ الكرسي موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى . وقد روي مرفوعاً ،  
والصواب أنه موقوف على ابن عباس . وقال السدي : السماوات والأرض في جوف الكرسي  
بين يدي العرش . وقال ابن جرير : قال أبو ذر رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقول : ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من  
الأرض .

وقيل : 3/ كرسيه علمه ، وينسب الى ابن عباس والمحفوظ عنه ما رواه ابن أبي شيبة ، كما تقدم  
. ومن قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظن . والظاهر أنه من جراب الكلام المذموم ،  
كما قيل في العرش . وإنما هو كما قال غير واحد من السلف :

بين يدي العرش كالمراقبة إليه (وأنه موضع القدمين كما تقدم عن ابن عباس ولا يعلم كيفيته الا الله  
عزوجل ، وهذا هو الراجح) .

استغناء الله تعالى عن العرش ومادونه :

ش : أما قوله : وهو مستغن عن العرش وما دونه . فقال تعالى : ( **إن الله لغني عن العالمين** ) . وقال تعالى : ( **والله هو الغني الحميد** ) . وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا ، لأنه لما ذكر العرش والكرسي ، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش ، ليبين أن خلقه للعرش لاستوائه عليه ، ليس لحاجته إليه ، بل له في ذلك حكمة اقتضته .  
وكون العالي فوق السافل ، لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي ، محيطاً به ، حاملاً له ، ولا أن يكون الأعلى مفتقراً إليه .

(مثال) : فانظر إلى السماء ، كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها ؟ .

(أي أن السماء في علوها واستقرارها غير محتاجة إلى الأرض ولا مماسة لها مع أنها فوقها) فالرب تعالى أعظم شأنًا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك ، بل لوازم علوه من خصائصه ، وهي حملة بقدرته للسافل ، وفقر السافل ، وغناه هو سبحانه عن السافل ، وإحاطته عز وجل به ، فهو فوق العرش مع حملة بقدرته للعرش وحملة ، وغناه عن العرش ، وفقر العرش إليه ، وإحاطته بالعرش ، وعدم إحاطة العرش به ، وحصره للعرش ، وعدم حصر العرش له . وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق .  
ونفاة العلو ، [أهل التعطيل] ، لو فصلوا بهذا التفصيل ، لهدوا إلى سواء السبيل ، وعلموا مطابقة العقل للتنزيل ، ولسلكوا خلف الدليل ، ولكن فارقوا الدليل ، فضلوا عن سواء السبيل . والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله ، لما سئل عن قوله تعالى : ( **ثم استوى على العرش** ) وغيرها : كيف استوى ؟ فقال الاستواء معلوم ، والكيف مجهول . ويروى هذا الجواب عن **أم سلمة** رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

## المفردة الثانية : إثبات العلو لله تعالى .

ش. وأما كونه تعالى فوق المخلوقات ، فقد قال تعالى : وهو القاهر فوق عباده / يخافون ربهم من فوقهم . وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال المتقدم ذكره : والعرش فوق ذلك ، والله فوق ذلك كله . وقد أنشد عبد الله بن رواحة شعره المذكور بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقره على ما قال :

وضحك منه . وكذا أنشده حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله :

شهدت بإذن الله أن محمداً \*\*\* رسول الذي فوق السماوات من عل

وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما \*\*\* له عمل من ربه متقبل

وأن الذي عادى اليهود ابن مريم \*\*\* رسول أتى من عند ذي العرش مرسل

وأنا أخوا الأحقاف إذ قام فيهم \*\*\* يجاهد في ذات الإله ويعدل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وأنا أشهد . وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : أن رحمتي سبقت غضبي وفي رواية : تغلب غضبي رواه البخاري وغيره . وروى ابن ماجه عن جابر يرفعه ، قال : بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور ، فرفعوا إليه رؤوسهم ، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ، وقال : يا أهل الجنة ، سلام عليكم ، ثم قرأ قوله تعالى : سلام قولاً من رب رحيم . فينظر إليهم ، وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه . وروى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في تفسير قوله تعالى : هو الأول والآخر والظاهر والباطن بقوله : أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء . والمراد بالظهور هنا : العلو . ومنه قوله تعالى : فما استطاعوا أن يظهروه ، أي يعلوه . فهذه الأسماء الأربعة متقابلة : اسمان منها لأزلية الرب سبحانه وتعالى وأبديته ، واسمان لعلوه وقربه .

وروى البخاري عن زينب رضي الله عنها ، أنها كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سماوات . وعن عمر رضي الله عنه : أنه مر بعجوز فاستوقفته ، فوقف معها يحدثها ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، حبست الناس بسبب هذه العجوز ؟ فقال : ويحك ! أتدري من هذه ؟ امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، هذه خولة التي أنزل الله فيها . قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله أخرجه الدارمي . وروى عكرمة عن ابن عباس ، في قوله : ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، قال : ولم يستطع أن يقول من فوقهم ، لأنه قد علم أن الله سبحانه من فوقهم .

ومن سمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام السلف ، وجد منه في إثبات الفوقية ما لا ينحصر .

أنواع الأدلة المثبتة لعلو الله تعالى :

والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه ، وكونه فوق عباده ، تقرب من عشرين نوعاً:

أحدها : التصريح بالفوقية مقروناً بأداة : من ، المعينة للفوقية بالذات ، كقوله تعالى : يخافون ربهم من فوقهم . الثاني : ذكرها بمجردة عن الأداة ، كقوله تعالى : وهو القاهر فوق عباده . الثالث : التصريح بالعروج إليه نحو : تعرج الملائكة والروح إليه . وقوله صلى الله عليه وسلم : يعرج الذين باتوا فيكم (أي من الملائكة) فيسألهم (الله) الخ . الرابع : التصريح بالصعود إليه . كقوله تعالى : إليه يصعد الكلم الطيب . الخامس : التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه ، كقوله تعالى : بل رفعه الله إليه . وقوله : إني متوفيك ورافعك إلي . السادس : التصريح بالعلو المطلق ، الدال على جميع مراتب العلو ، ذاتاً وقدرراً وشرفاً ، كقوله تعالى : وهو العلي العظيم / وهو العلي الكبير / الله عليم حكيم . السابع : التصريح بتنزيل الكتاب منه ، كقوله تعالى : تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم / تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم / تنزيل من الرحمن الرحيم / تنزيل من حكيم حميد / قل نزله روح القدس من ربك بالحق / حم \* والكتاب المبين \* إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين \* فيها يفرق كل أمر حكيم \* أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين . الثامن : التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده ، وأن بعضها أقرب إليه من بعض ، كقوله : إن الذين عند ربك / وله من في السماوات والأرض ومن عنده . ففرق بين من له عموماً وبين من عنده من ملائكته وعباده خصوصاً . وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه : أنه عنده فوق العرش . التاسع : التصريح بأنه تعالى في السما ، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين : إما أن تكون في بمعنى على ، وإما أن يراد بالسما العلو ، لا يختلفون في ذلك ، ولا يجوز الحمل على غيره . العاشر : التصريح بالاستواء مقروناً بأداة على مختصاً بالعرش ، الذي هو أعلى المخلوقات ، مصاحباً في الأكثر لأداة : ثم الدالة على الترتيب والمهلة . الحادي عشر : التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى ، كقوله صلى الله عليه وسلم : إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً . والقول بأن العلو قبلة الدعاء - فقط - باطل بالضرورة والفطرة ، وهذا يجده من نفسه كل داع ، كما يأتي إن شاء الله تعالى . الثاني عشر : التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا ، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفلى . الثالث عشر : الإشارة إليه حساً إلى العلو ، كما أشار إليه من هو أعلم بربه وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر ، لما كان بالمجمع الأعظم (في خطبة عرفة) الذي لم يجتمع لأحد مثله ، في اليوم الأعظم ، في المكان الأعظم ، قال لهم : أنتم مسؤولون عني ، فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء رافعاً لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء ، قائلاً : اللهم أشهد . فكأننا

نشاهد تلك الأصبغ الكريمة وهي مرفوعة إلى الله ، وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه : **اللهم أشهد** ، ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين ، وأدى رسالة ربه كما أمر ، ونصح أمته غاية النصيحة ، فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع المنتطعين ، وحذلقه المتحذلقين ! والحمد لله رب العالمين . الرابع عشر : التصريح بلفظ : **الأيّن** كقول أعلم الخلق به ، وأنصحهم لأمتهم ، وأفصحهم بياناً عن المعنى الصحيح ، بلفظ لا يوهم باطلاً بوجه - حين سأل الجارية - : **أين الله ؟** ، في غير موضع . الخامس عشر : **شهادته** صلى الله عليه وسلم لمن قال إن ربه في السماء بالإيمان . السادس عشر : إخباره تعالى عن فرعون أنه رام **الصعود إلى السماء** ، ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السماوات ، فقال : **يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب \* أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا** . فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني ، ومن أثبته فهو موسوي محمدي . السابع عشر : إخباره صلى الله عليه وسلم : أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة ، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدة مرار . الثامن عشر : النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى ، من الكتاب والسنة ، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يرونه كرؤية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ، فلا يرونه إلا من فوقهم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : **بيننا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم ، وقال : يا أهل الجنة ، سلام عليكم ، ثم قرأ قوله تعالى : سلام قولاً من رب رحيم** . ثم يتوارى عنهم ، وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم رواه الإمام أحمد في **المسند** ، وغيره ، من حديث **جابر** رضي الله عنه . ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية . ولهذا طرد الجهمية الشقيين (انكروا العلو والرؤية) ، وصدق أهل السنة بالأمرين معاً ، وأقروا بهما ، وصار من أثبت الرؤية ونفى العلو (وهم الأشاعرة) مذنباً بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ! وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل ، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله ! وهيئات له بجواب صحيح عن بعض ذلك ! .

من شبه المبتدعة نفاة العلو والفوقية لله تعالى :

ومن تأول فوق ، بأنه خير من عباده وأفضل منهم ، وأنه خير من العرش وأفضل منه ، كما يقال : **الأمير فوق الوزير ، والدينار فوق الدرهم** : فذلك مما تنفر عنه العقول السليمة ، وتشمئز منه القلوب الصحيحة ! . فإن قول القائل ابتداء : **الله خير من عباده ، وخير من عرشه** : من جنس قوله : **التلج بارد ، والنار حارة ، والشمس أضوأ من السراج ، والسماء أعلى من سقف الدار ، والجبل أثقل من الحصى ، ورسول الله أفضل من فلان اليهودي ، والسماء فوق الأرض !** . وليس في ذلك تمجيد ولا

تعظيم ولا مدح ، بل هو من أزدل الكلام وأسمجه وأهجنه ! فكيف يليق بكلام الله ، الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لما أتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؟! .

بل في ذلك تنقص ، كما قيل في المثل السائر :

**ألم تر أن السيف ينقص قدره \*\*\* إذا قيل إن السيف أمضى من العصا**

ولو قال قائل : الجوهر فوق قشر البصل وقشر السمك ! لضحك منه العقلاء ، للتفاوت الذي بينهما ، فإن التفاوت الذي بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم . بخلاف ما إذا كان المقام يقتضي ذلك ، بأن كان احتجاجاً على مبطل ، كما في قول يوسف الصديق عليه السلام : **أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار** . وقوله تعالى : **الله خير أما يشركون / والله خير وأبقى** .

وإنما يُثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه ، فله سبحانه وتعالى :

1- فوقية القهر .

2- وفوقية القدر .

3- وفوقية الذات (وهذه التي خالف فيها المبتدعة نفاة العلو).

ومن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص ، وعلوه تعالى مطلق من كل الوجوه .

(الدليل العقلي على علو الله تعالى) :

أما ثبوته بالعقل فمن وجوه :

أحدها : العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين ، إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر قائماً به كالصفات ، وإما أن يكون قائماً بنفسه بائناً (منفصلاً) من الآخر .

الثاني : أنه تعالى لما خلق العالم ، فإما أن يكون خلقه (أي العالم) في ذاته أو خارجاً عن ذاته ، والأول باطل : لأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . والثاني يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته ، فيكون منفصلاً ، فتعينت المباينة ، لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه - غير معقول - .

الثالث : أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه (كما يقوله المبتدعة نفاة العلو من الأشاعرة) : يقتضي [نفي] وجوده بالكلية ، لأنه غير معقول : فيكون موجوداً إما داخله وإما خارجه . والأول باطل فتعين الثاني ، فلزمت المباينة (وإذا ثبت أنه تعالى مبين منفصل عن خلقه فيلزم أن يكون فوق خلقه عالياً عليهم لأن جهة العلو هي أليق الجهات بالخالق جل وعلا) .

(الدليل الفطري على علو الله تعالى) :

وأما ثبوته بالفطرة ، فإن الخلق جميعاً بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى .

وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين ، وهو يتكلم في نفي صفة العلو (على طريقة الأشاعرة) ، ويقول : كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان ! . فقال الشيخ أبو جعفر : أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ؟ فإنه ما قال عارف قط : يا الله ، إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو ، لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا ؟ . قال : فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل ! . وأظنه قال : وبكى ! . وقال : حيرني الهمداني حيرني ! . أراد الشيخ : أن هذا أمر فطر الله عليه عباده ، من غير أن يتلقوه من المرسلين ، يجدون في قلوبهم طلباً ضرورياً يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو .



## المفردة الثالثة : مسألة التكفير .

ش. واعلم - رحمك الله وإيانا - أن باب التكفير وعدم التكفير ، باب عظمت الفتنة والحنة فيه ، وكثر فيه الإفتراق ، وتشتت فيه الأهواء والآراء ، وتعارضت فيه دلائلهم . فالناس فيه ، في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة، المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر، أو المخالفة لذلك في اعتقادهم ، على طرفين ووسط ، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبراء العملية .

فطائفة (المرجئة) تقول :

لا نكفر من أهل القبلة أحداً ، فتنفي التكفير نفيّاً عاماً ، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين ، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع ، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم ، وهم يتظاهرون بالشهادتين .

وأيضاً : فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة ، والمحرمات الظاهرة المتواترة ، ونحو ذلك ، فإنه يستتاب ، فإن تاب ، وإلا قتل كافراً مرتداً . والنفاق والردة مظنتها البدع والفجور .

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأننا لا نكفر أحداً بذنب ، بل يقال : لا نكفرهم (بكل) ذنب ، كما تفعله الخوارج .

و(طائفة) الخوارج في طرف :

فإنهم يقولون نكفر المسلم بكل ذنب ، أو بكل ذنب كبير ، وكذلك المعتزلة الذين يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة ، فلا يبقى معه شيء من الإيمان. لكن الخوارج يقولون : يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر ! والمعتزلة يقولون : يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر ، وهذه المنزلة بين المنزلتين ! .  
وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له (الخوارج والمعتزلة) الخلود في النار! ..

(قول أهل السنة والجماعة) :

الرجل يكون مؤمناً باطناً وظاهراً ، لكن إن تأول تأويلاً أخطأ فيه ، إما مجتهداً وإما مفرطاً مذنباً ، فلا يقال . إن إيمانه حبط لمجرد ذلك ، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي ، بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة ، ولا نقول : لا يكفر ، بل العدل هو الوسط ، وهو :

(أن نكفر القول والفعل الذي دل الشرع على أنه كفر) :

الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبتته الرسول ، أو إثبات ما نفاه ، أو الأمر بما نهي عنه ، أو النهي عما أمر به : يقال فيها الحق ، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص ، ويبين أنها كفر ، ويقال : من قالها فهو كافر (دون تعيين شخص معين، لأن الحكم على المعين لا بد فيه من النظر

لانطباق شروط التكفير عليه وانتفاء الموانع عنه قبل اطلاق الحكم) ، كما يذكر من الوعيد في الظلم في النفس والأموال ، وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى في الآخرة ، ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها .

#### (تكفير الشخص المعين) :

وأما الشخص المعين إذا قيل : هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر ؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة ، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار ، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت .

ولهذا ذكر **أبو داود** في سننه في كتاب **الأدب** : باب النهي عن البغي ، وذكر فيه عن **أبي هريرة رضي الله عنه** ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين ، فكان أحدهما يذنب ، والآخر مجتهد في العبادة ، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب ، فيقول : أقصر ، فوجده يوماً على ذنب ، فقال له : أقصر . فقال : خلني وربي ، أبعثت علي رقيباً ؟ فقال : والله لا يغفر الله لك ، أو لا يدخلك [الله] الجنة فقبض أرواحهما ، فاجتمعا عند رب العالمين ، فقال لهذا المجتهد : أكنت بي عالماً ؟ أو كنت على ما في يدي قادراً ؟ وقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتي ، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار . قال **أبو هريرة** : والذي نفسي بيده ، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته . وهو حديث حسن .

#### (موانع التكفير) :

ولأن الشخص المعين :

- 1/ يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له .
- 2/ ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص (أي جاهل بحكم القول أو الفعل المكفر) .
- 3/ ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله . كما غفر للذي قال : (( إذا مت فاسحقوني ثم ذروني ، ثم غفر الله له لخشيته .. )) . وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته ، أو شك في ذلك .

لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا ، لمنع بدعته ، وأن نستتبيه ، فإن تاب وإلا قتلناه ( وهذه الأمور انما يملك فعلها ولي أمر المسلمين دون عامة الناس ) .

#### ( تسمية بعض الكبائر كفرة في النصوص والرد على الخوارج والمعتزلة والمرجئة ) :

الشارع قد سمى بعض الذنوب (التي هي من الكبائر ولا تخرج من الدين) كفرةً ، قال الله : **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** . وقال صلى الله عليه وسلم : **سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر** .

متفق عليه من حديث **ابن مسعود** رضي الله عنه . وقال صلى الله عليه وسلم : لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . و : إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر - فقد باء بها أحدهما . متفق عليهما من حديث **ابن عمر** رضي الله عنه . وقال صلى الله عليه وسلم : أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه [خصلة منهن كان فيه] خصلة من النفاق حتى يدعها . إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر . متفق عليه من حديث **عبد الله بن عمر** رضي الله عنه . وقال صلى الله عليه وسلم : لا يزيي الزاني حين يزيي وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، والتوبة معروضة بعد . وقال صلى الله عليه وسلم : بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة . رواه **مسلم** عن **جابر** رضي الله عنه . وقال صلى الله عليه وسلم : من أتى كاهناً فصدقه ، أو أتى امرأة في دبرها ، فقد كفر بما أنزل على محمد . وقال صلى الله عليه وسلم : من حلف بغير الله فقد كفر . رواه **الحاكم** بهذا اللفظ . وقال صلى الله عليه وسلم : ثنتان في أمي [بهم] كفر : الطعن في الأنساب ، والنياحة على الميت . ونظائر ذلك كثيرة .

والجواب (على هذه النصوص) : أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية ، كما قالت الخوارج ، (لأمر منها) :

- 1- لو كفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتداً يقتل على كل حال ، ولا يقبل عفو ولي القصاص ، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقه وشرب الخمر ! (وغيرها من الكبائر لأن الحدود مكفرات للفعل والكفر لا يمحوه الا التوبة ) .
- 2- قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين ، قال تعالى (في كبيرة قتل النفس) : يا أيها الذين (آمنوا) كتب عليكم القصاص في القتلى ، الى أن قال : فمن عفي له من (أخيه) شيء فاتباع بالمعروف . فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا ، وجعله أخاً لولي القصاص ، والمراد أخوة الدين بلا ريب . و(كذلك في كبيرة قتال المسلمين) قال تعالى : وإن طائفتان من (المؤمنين) اقتتلوا فأصلحو بينهما ، الى أن قال : إنما المؤمنون إخوة فأصلحو بين (أخويكم).
- 3- وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم ، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه ، ثم ألقى في النار . أخرجاه في الصحيحين . فثبت أن الظالم (فاعل هذه الكبيرة) يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه . وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما تعدون المفلس فيكم ؟ قالوا : المفلس فينا من لا له درهم ولا دينار ، قال : المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال ، فيأتي وقد شتم

هذا ، وأخذ مال هذا ، وسفك دم هذا ، وقذف هذا ، وضرب هذا ، فيقتص هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار . رواه مسلم . وقد قال تعالى : إن الحسنات يذهبن السيئات . فدل ذلك على أن (مرتكب هذه الكبائر) في حال إساءته يعمل حسنات تمحو سيئاته (ولو كان كافراً لما كانت له حسنات وأعمال صالحة يستوفي منها المظلوم حقه) .

4- (أن المقصود بالكفر والظلم والفسق والنفاق الوارد في النصوص السابقة هو الأصغر الذي هو من قبيل الكبائر ولا يخرج من الملة، ومعرفة ذلك تتم بالنظر الى نصوص الشرع الأخرى كما مر معنا في نصوص قتل النفس والاقتتال بين المسلمين ) ،

والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة ، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ، لكن قالت الخوارج . نسميه كافراً ، وقالت المعتزلة : نسميه فاسقاً ، فالخلاف بينهم لفظي فقط . وأهل السنة أيضاً متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب ، كما وردت به النصوص . لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب .

(المرجع / شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي - باختصار -)

ملاحظة : هذه المفردات الاضافية داخله ضمن المنهج المعتمد للمقرر وهي موضع أسئلة في الاختبار النهائي .

وفق الله الجميع ،،،

الأستاذ المساند للمقرر : د. رياض العُمري .

@riyadalomari